تصور منهج متكامل في تعليمية اللغة العربية

د. رشيد سهلي

جامعة العربي التبسي. تبسة

الملخص:

يوظف الإنسان اللغة في قضاء حاجاته وحل مشكلاته والاتصال بالآخرين، كما يستخدمها في تنظيم نشاطاته المتنوعة وعلى جميع الأصعدة. فهي أداة للتفكير والتعبير والتواصل وحفظ التراث والتعليم والتعلّم، فالفرد يتعلّم باللغة من الآخرين ويكتسب معارفه وجزءا كبيرا من ثقافته وخبرته ومهارته في العمل وفي العيش وسط مجتمعه.

من هذا المنظور يتضح أن تصوّر منهج متكامل في تعليمية اللغة العربية يعني قدرة المتعلّم على أداء الكفاءات والمهارات الأكثر وظيفية وتلاؤما مع عصره. يتأتى ذلك بالممارسة الناجعة لفنون اللغة العربية مع التحكم في أساليب العمل الفكري من فهم وتطبيق وتحليل وربط وتقويم. ينجر عن هذا كلّه فهم المصطلحات وتحليل المفاهيم وضبط الإشكاليات. بيد أن هذا لن يتيسّر إلاّ في ضوء تحقيق رؤيا متكاملة في تدريس اللغة العربية، من حيث هي فنون وخصائص ومواد دراسية وأهداف تربوية معرفية وانفعالية وحسية متظافرة.

Abstract:

Human language employed in the district needs and solve problems and communicate with others, he use it also in organizing various activities and at all levels. It is a tool for thought, expression, communication and heritage conservation, education and learning, the individual learns the language of others and gain knowledge and a large part of the culture, experience and skill to work and live in the midst of society.

From this perspective it is clear that to imagine an integrated approach in teaching the Arabic language learner it means on the performance of competencies and skills the most functional and suited to his age. That comes to practice effective Arabic language arts with control in the intellectual work of the understanding and application and analysis and linking and evaluating methods. Whittling about all this understanding of the terminology and concepts analysis and control problems. However, this would not be possible except in the light of the realization of an integrated vision in the teaching of the Arabic language, in terms of the arts and the characteristics of materials and seminars and educational objectives of the cognitive and emotional and sensory together.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

تطرح هذه المداخلة إشكالية هامة بتناولها المنهاج التربوي-باعتباره نظاما قائما بذاته يستند إلى دعائم أربع هي: الأهداف[1] والمحتوى[2] والأنشطة[3]والتقويم[4]-تتمثل أهمية التكامل اللغوي والمعرفي في التدريس وعلاقته بشخصية المتعلم.فلا يخفى عنا اليوم بأن الغرض من تعليمية اللغة العربية، هو إقدار المتعلم على أداء الكفاءات والمهارات الأكثر وظيفية وتلاؤما مع عصره، وذلك بتمكينه من ممارسة فنون اللغة والتحكم في أساليب العمل الفكري من فهم وتحليل وربط وتقويم، ينجر عنه فهم المصطلحات وتحليل المفاهيم وضبط الإشكاليات،غير أن هذا لن يتيسر إلا في ضوء تحقيق رؤية شاملة متكاملة في تلقين العربية من حيث هي فنون وخصائص ومواد دراسية أهداف تربوية معرفية وانفعالية وحسية مجتمعة،وسنتبين أهمية هذه الأسس في مايلي:

أولا –العربية والفنون اللغوية:

إن وضع منهج في تدريس اللغة العربية عادة ما يرتكز على عاملين اثنين:

أولا الأطر المعرفية الحضارية، وهي كل أنواع المعرفة الملقنة، وثانيا الفنون اللغوية والمهارات الأساسية وهي تحتل الصدارة في زمن المنهج وأنشطته، وبخاصة في المراحل الأولى من التعليم العام وتبقى ملازمةللعلمية التربوية إلى غاية المستوى النهائي.وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تزويد المتعلم بالمهارات الأساسية في اللغة العربية أمر في منتهى الأهمية، لأنّها أدواته في تحصيل المعرفة. وتشكل محور الأهداف الخاصة في تدريس العربية، والتي تعنى بإكساب التلميذ مهارات لغوية يوظفها توظيفا صحيحا ومتقنا من حيث الحديث والاستماع والقراءة والكتابة، ومساعدته على تذوق جماليات الخطاب المسموع والمقروء بالتحليل والتركيب والتقويم[5].

من هذا الباب نستطيع القول إن اللغة أساس نمو شخصية الفرد، فيها نتزود بالمعلومات والمعارف والقدرات والاتجاهات والميول. وهي وسيلة للقراءة و الفهم ومطية الاتصال بالتراث وحل المشكلات، وهي الأداة "التي يمكن بواسطتها تحليل أي صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتي يمكن بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات ووضعها في تركيب خاص".[6]

ما تجدر الإشارة إليه هنا هو هذا الارتباط الوثيق بين المهارات اللغوية من حيث الإرسال والاستقبال. فالمتحدث يعكس في حديثه لغة الاستماع التي يسمعها في البيت والبيئة، بالإضافة إلى أن أداءه وطلاقته تؤثر في المستمع وتدعوه إلى محاكاته، كما أنّ الدقة في الحديث تكتسب بالاستماع الدقيق، إلى المتحدث الدقيق، وعليه فإن تطور فن الاستماع[7] ونمو مهاراته المختلفة من إدراك وتعرف وفهم، وتحليل وتفسير، وتطبيق ونقد، يساعد على نمو الانطلاق في الحديث، وللتذكير هنا نقول: إن مهارة الاستماع تكاد تكون مهملة في مناهجنا الدراسية.

لا ينبغي أن نغفل – ونحن بصدد الحديث عن الاستماع—عن الوشائج القوية بين الاستماع والقراءة، فالاستماع أساس التعلم اللفظي في السنوات الأولى من الدراسة، كما أن المتخلف في القراءة يتعلم من الاستماع أكثر مما يتعلم من القراءة، فالقدرة إذا على التعبير السمعي مرتبطة بالقراءة،والدقة في الاستماع والقدرة على التمييز فيه تساعدان صاحبهما على تحصيل الأفكار الأساسية وعلى تذكرها فيما بعد، والأطفال يتذكرون ما يستمعون إليه أكثر مما يقرؤونه على عكس الكبار.

هناك صلة أيضا بين الاستماع والكتابة، فالمستمع الجيد يتمكن من التمييز بين أصوات الحروف وكتابة كلماتها كتابة سليمة.وعلاوة على كل هذا فإن الاستماع الجيد يثري الحصيلة اللفظية فينعكس ذلك على التعبير الكتابي للمستمع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجيد.[8]الاستماع إذا شرط أساسي للنمو اللغوي ويتوافق مع المقولة الشهيرة لابن خلدون، "إن السمع أبو الملكات اللسانية" غير أن المتتبع لعملية تدريس اللغة تدريس اللغة العربية في الوطن العربي يلاحظ سيطرة المناهج التقليدية في أغلب المؤسسات وفي مختلف الأطوار، وهي ترعى جانب القراءة والكتابة ولا تكترث بالاستماع والحديث ومن هذا المنطلق قسمت هذه المناهج العربية إلى فروع هي: القراءة والتعبير والإملاء والخط . وكما هو معلوم فإن في هذا التفريع إجحاف في حق اللغة لأنه لا يحترم وحدتها، وتقصير كذلك في حق المتعلم لأنه لا يحقق له الجودة في أداء اللغة من جميع أبوابها.وعليه فإن الحاجة إلى ممارسة اللغة في الميادين المختلفة تستدعي ضرورة تحقيق التكامل في تدريس هذه الفنون لأنها تسهم أيما إسهام في تحقيق النمو الشامل للدارس في هذا الجانب. كما لا يفوتنا أن ندعم الفكرة القائلة بحتمية الرجوع إلى النص في العملية التعليمية باعتباره نقطة الانطلاق لكل النشاطات اللغوية المتصلة بفنون اللغة وخصائصها.

ثانيا –العربية والوحدات الدراسية:

لقد هيمنت نظرية الفروع في تدريس اللغة العربية خلال فترة زمنية معتبرة ولا زالت مسيطرة في كثير من أقطار العربية، ويقصد بنظرية الفروع تقسيم العربية إلى مواد قائمة بذاتها، لها مناهجها وكتبها وحصصها المقررة في الجدول الزمني للدراسة على نحو: التعبير والإملاء والخط والمحفوظات والقواعد والأدب والبلاغة. والكل يعلم ما في هذا التقسيم الإجرائي من تمزيق لجوهر اللغة وطبيعتها من جهة والخبرة اللغوية المكتسبة من قبل التلاميذ من جهة أخرى.فلا يشعرون بالعلاقة الموجودة بين هذه الفروع، ولا يحسنون الربط بينها، وهذا من دواعي الفشل في توظيف اللغة وفق المواقف المتعددة توظيفا صحيحا من جميع جوانبه، وبخاصة في المراحل الأولى من التعليم العام.ويصف بعض الباحثين هذا الوضع المتردي في تدريس العربية ومدى انعكاسها على أداء التلاميذ فيقول: "..فهم لا يتحرون الضبط الصحيح والنطق السليم إلا في حصة القواعد، ولا يتأنقون في اختيار العبارات إلا في حصة الأدب، ولا يهتمون برسم الكلمات رسما صحيحا إلا في حصة الخط."[9]ومما أكدت عليه الأبحاث العلمية اليوم أن هذا التفريع يجدي في مجال التخصص أو في المراحل المتقدمة جدا من التعليم، أما خلاف هذا فهو ضرب من التكسير لوحدة العربية، والإحباط لعزيمة المتعلم وكذا استنزاف الطاقات وتشتيتها.

وعلى هذا عبدت هذه المعوقات الطريق لنظرية الوحدة فبتعليم العربية باعتبارها كلا متكاملا،مترابطا، متماسكا تذوب فيه جميع التفريعات، غرضها الأمثل الولوج بالمتعلم منازل الإتقان في أداء اللغة العربية.وفحوى هذه النظرية أنها تجعل من النص[10] مجالا خصبا لاحتواء جميع الدراسات اللغوية.فهو يصلح لأن يكون موضوعا للقراءة والتعبير والإملاء والخط والصرف والنحو والأدب والبلاغة والنقد في آن واحد، وهو يقدم صورة دقيقة عن طبيعة اللغة ومدى انسجامها وتآلف خصائصها والتحام عناصرها.

وبالمقابل فإن النصوص بتنوعها واختلاف موضوعاتها[11]تحفز التلاميذ وتشوقهم وتكسر جدار السآمة، وتدفعهم إلى الرجوع إلى الموضوع الواحد عدة مرات لتدارسه من جميع الأوجه. فهذا التكرار يثبت المعارف ويعزز الفهم. ثم إن التدريس بالوحدات ينتقل بالمتعلم من الكليات إلى الجزئيات وفي هذا مسايرة لطبيعة العقل في إدراك المثيرات وسائر الأشياء المحيطة به.إن هذا الضرب من التعليم يعكس صورة صادقة عن حقيقة التلاحم بين جميع أنواع الدراسات اللغوية فضلا عن أنه يقدم مظهرا طبيعيا عن أدائنا المنطوق والمكتوب، والذي يعبر عن ثقافتنا اللغوية باعتبارها وحدة متماسكة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا–العربية والمواد الدراسية الأخرى:

إن اللغة العربية ليست مادة قائمة بذاتها فقط، بل هي وسيلة لتدريس المواد الأخرى وذلك على امتداد مراحل التعليم العام، بموجب ذلك يتعذر الفصل بينها وبين المواد الدراسية الأخرى، علمية كانت أو أدبية.فهي بالنسبة لسائر المدرسين مفتاح المواد التي يجتهدون في تعليمها، وهي بهذه الحال الوسيلة الأولى لقراءة مراجع هذه المواد وشرحها للتلاميذ، وتأليف المقررات الدراسية الخاصة بهم. من الواضح أن العلاقة المتينة بين اللغة العربية والمواد الدراسية الأخرى تبدو جلية حين يتقدم التلاميذ في تحصيل اللغة العربية، ويتمكنون من مهاراتها اللغوية الأربع، فهذا يساعدهم على النجاح في تلقي المواد الأخرى التي تعتمد على القراءة والفهم. وإن كثيرا من الصعوبات التي تعترضهم أثناء دراستهم والأخطاء التي يقعون فيها تعود إلى عدم قدرتهم على فهم ما يقرأون أو إلى اللغة التي صيغت بها الأسئلة، أو إلى ضعفهم في التعبير عما يعرفون، وهذا يعني أن التلميذ يفتقر إلى القدرة على الاستخدام السليم للأساليب اللغوية.

لا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن التربية الرشيدة تجتهد في الإفادة من العوامل المؤدية إلى تكامل المعرفة في أذهان التلاميذ، والتي تعينهم على الربط بين الحقائق والمعلومات الموجودة في المواد الدراسية المختلفة، على نحو، اتخاذ التاريخ والجغرافيا والعلوم مادة للدراسات اللغوية، ومجالا للقراءة والكتابة والحديث.[12]

نستنتج مما سبق أنه من الفداحة بمكان أن يتم تدريس اللغة العربية والمواد الأخرى باللغة العامية، فهذا لا يساعد في تحصيل ملكة اللغة العربية لدى المتعلمين، لأنها لن تتحقق كما يقول العلامة ابن خلدون إلا بـ: "...ممارسة الكلام وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه .."[13]ومن ثمة فإن أفضل أسلوب لعلاج هذا الوضع المخزي، هو أن ندرس اللغة العربية على أساس أنها استماع وفهم، وحديث، وقراءة وكتابة، تراعى فيها الضوابط اللغوية والمقاييس الجمالية، والعمل على نبذ الأسلوب العامي في التدريس، وذلك بأن يصبح كل مدرس داخل مؤسساتنا التربوية مدرسا للغة العربية.

رابعا –اللغة العربية والأهداف التربوية:

يعرف الهدف بأنه " وصف لتغير سلوكي متوقع حدوثه في شخصية المتعلم بعد مروره بخبرة تعليمية ما." فهو إذا تعديل في سلوك المتعلم،ويشمل جوانب متعددة متصلة بشخصيته، وهي متعلقة بالمجالات العقلية المعرفية، والانفعالية الوجدانية والحسية الحركية. وهذا يعني أن التربية البناءة والواعدة هي تلك التي تخاطب في التلميذ عقله وقلبه وحواسه، وذلك بتطوير مهارات التفكير العلمي لديه، ودفعه إلى حب لغته والاعتزاز بها وبالثقافة التي تحملها، وإكسابه مهارات الأداء اللغوي وغير اللغوي، وكل ذلك لغرس ميزات المواطن العربي المسلم الصالح الذي يشارك وبفاعلية في بناء مجتمعه وترقيته. وهذا ما تجسده الأهداف العامة للتربية والتعليم المنحصرة فيما يلي:

أ– الأهداف التربوية في المجال المعرفي الإدراكي:

وهي تلك المفاهيم والعمليات العقلية الدنيا والعليا التي يجتهد المعلم في تدريب النشء عليها، لتيسر توظيف مهارات التعاطي الفكري السديد، وهي درجات من المعرفة تترجمها أفعال سلوكية متصلة بـ:اكتساب المعرفة وحفظها،ثم الفهم والتطبيق والتحليل فالتركيب والتقويم أو إصدار الأحكام، يؤدى كل ذلك في إطار ممارسة اللغة من حيث هي مهارات وملكات. فهو بالحفظ, يصف ويسترجع ويعرف ويدون ويكتب ويكتسب،وبالفهم، يفهم ويتنبأ ويفسر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويميز ويلاحظ ويشرح ويعلل، وبالتطبيق يطبق ويربط ويشرح ويعرض ويبني وينقل، وبالتحليل، يحلل ويميز ويقسم ويفرق ويصنف، وبالتركيب، يربط ويعيد صياغة ويكون ويلخص ويعمم وينظم ويخطط ويقترح، وبالتقويم، يقوم ويحكم ويقرر ويختبر ويختار وينقد ويوازن ويقارن ويعارض ويؤيد ويتجنب ويبحث ويدافع.

ب– الأهداف التربوية في المجال الوجداني:

وهي من العوامل التأسيسية في التربية، تربط التلميذ بقيم مجتمعه واتجاهاته. وتدور حول مستويات متنوعة يتعرض لها المتمدرس وهي: جذب الانتباه صوب المثيرات القيمية، وتحقيق الاستجابة الإيجابية، وتنظيم القيمة والاعتزاز بها. نلمس درجة تحقيق هذه المستويات من خلال الأقوال والأعمال التي ينجزها الفرد، والتي تبين مدى تمسكه بالهوية واعتزازه بالأصالة وحبه للغة الأمة التي ينتمي إليها.

ج– الأهداف التربوية في المجال الحسي الحركي:

وتعبر هذه الأهداف عن العادات والمهارات المتمثلة في سرعة الأداء وإتقانه ولكن بجهد قليل وزمن أقل. والسلوكات الحسية الحركية متعددة الجوانب:

أولها مهارات التواصل غير اللفظي، مثل: التنغيم والنبر والتفخيم. وثانيها المهارات الحركية الدقيقة التناسق على نحو حركة العين واليدين وتعابير الوجه. وثالثها مهارات الحركات الجسمية الكبرى البادية في التربية البدنية، وأخيرا مهارات السلوك اللفظي الكلامي ويحتوي على المهارات اللغوية.

إن المتتبع للأسس الثلاثة الأخيرة يلاحظ أن اللغة تكاد تسود جميع الأنشطة الواردة فيها وعليه نجدد الدعوة إلى ضرورة الاهتمام العملي والميداني باللغة العربية في إطار السعي نحو بلوغ مراتب التكامل المعرفي واللغوي في شخص المتعلم الذي سيتحمل عبء النهوض بمجتمعه العربي الإسلامي والارتقاء به إلى مصاف الدول المتقدمة.

الخاتمة:

إن تصوّر منهج متكامل في تعليمية اللغة العربية يجب أن يراعي **ثقافة المجتمع** و**حاجياته** و**خصوصيات المتعلّم** و**متطلباته**، بالإضافة إلى العناية **بخصائص العربية** والنظر إليها على أنها **فنون** أربعة تتكامل في عمليّة التدريس مع **توفير الجو التعليمي الجيّد** و**الوسائل السمعية البصرية** الجذابة و**المكتبات** العامة و**المتخصصة** وكذلك **المدرّس المتفتّح المبتكر** القادر على التخطيط والتطوير وإثارة الأفكار الجديدة وطرائق التدريس الفعّالة.

الهوامش:

1. **الهدف**: يعرف بأنه وصف لتغيير سلوكي متوقع حدوثه في شخصية المتعلم بعد مروره بخبرة تعليمية ما، والقصد منه تعديل سلوك المتعلم.
2. **المحتوى**:وهو نوعية المعارف والمعلومات التي يقع عليها الاختيار والتي يتم تنظيمها على نحو معين، سواء أكانت هذه المعارف مفاهيما أوحقائق، أم أفكارا أساسية، ويختار المحتوى في ضوء الأهداف، وتتحدد الأهداف في ضوء عقيدة المجتمع أو فلسفته في الحياة.
3. **الأنشطة**: يقصد بالنشاط الجهد العقلي أو البدني الذي يبذله المتعلم أو المعلم من أجل بلوغ هدف ما، فالأنشطة إذا مجموعة الإجراءات التي يقوم بها كل من المدرس و المتمدرس بغرض تحقيق الأهداف إلى درجة الإتقان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. **التقويم**: عملية التأكد من تحقيق الأهداف، ويعني التصحيح والتصويب، ويشتمل على جملة من العمليات الفرعية، كعملية التقييم بمعنى التثمين، وعملية التشخيص بمعنى تحديد نقاط القوة والضعف وعملية المتابعة، وعملية التغذية الراجعة ، وعملية إصدار الحكم.

5. انظر عبد الصاحب الموسوي/ حركة تطوّر مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام /ط 1 /1984 وزارة التربية بالكويت.

6. عبد العزيز عبد المجيد /اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها /ج1/ص15/ط4/القاهرة /دار المعارف /د.ت.

7. الاستماع عملية فسيولوجية متصلة بوظيفة الأذن، تنجم عنها عمليات عقلية معقدة، فهو ليس مجرّد سماع بل هو إدراك للرموز اللغوية المنطوقة عن طريق التمييز السمعي وفهم مدلول هذه الرموز وإدراك الوظيفة التواصلية لهذه الرّموز المنطوقة، وتفاعل الخبرات المرسلة مع خبرات المستمع وقيمه ومعاييره، ثم هو نقد وتقويم لهذه الخبرات في ضوء المعايير الموضوعية المناسبة لذلك.

8. أنظر محمود أحمد السيد / اللسانيات وتعليم اللغة / دار المعارف للطباعة والنشر / سوسة /تونس.

9. عبد العليم إبراهيم / الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية /ص52/ دار المعارف /ط17.

10. يبين لنا ابن خلدون – في مؤلفه المقدمة– كيفية حصول ملكة اللغة فيقول:"تحصل ملكة اللغة بممارسة الكلام، وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية ".هذا يعني أن الحفظ والتسميع وتعليم اللغة على أنها حقائق علمية لا يكفي لتكوين المهارة، والمهارة هنا تعني الأداء المتقن في العبارة والوقت والجهد وقوام ذلك الممارسة والتكرار والفهم.

11. لقد كان هذا النمط في تدريس العربية سائدا في الفترات التاريخية القديمة، والتي عرفت فيها العربية التأليف والتدريس على نحو كتاب " الكامل المبرد" والذي يعرض فيه صاحبه النص ثم يجتهد في معالجته من النواحي اللغوية المتصلة به.

12. انظر علي أحمد مذكور/**تدريس فنون اللغة العربية**/ دار الفكر العربي / القاهرة 1997.

13. ابن خلدون /**المقدمة**/ دار الفكر /بيروت/ لبنان 2002.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com